

نبضات الصداقة

علي حسن جعفر

استلقى سلمان على سرير المستشفى الأبيض، يشعر بآلآم شديدة في مفاصله، وكأن هناك زحاماً شديداً داخل عروقه. دخل الدكتور جعفر الغرفة بابتسامة مطمئنة، حاملاً معه لوحة إلكترونية. قال الدكتور جعفر: "سلمان، يبدو أن خلايا الدم المنجلية قررت أن تزدحم في طريقها اليوم، مما منع الأكسجين من الوصول إلى وجهته بسلام." أومأ سلمان برأسه، فهو يدرك أن هذا الألم ناتج عن "نوبة ألم" تعيق تدفق دمه.



جلس الدكتور جعفر بجانب سلمان وبدأ يشرح له الأمر ببساطة ليرفع من معنوياته: "تخيل أن خلايا دمك التي يجب أن تكون مستديرة ومرنة مثل أقراص مطاطية، تحولت فجأة إلى شكل هلال أو منجل صلب. هذه الأشكال المنحنية تتعثر في الأوعية الدموية الضيقة وتسبب انسداداً يمنع مرور الأكسجين." ثم أردف بجدية: "لذا، سنحتاج لتزويد جسمك بخلايا دم جديدة وقوية لتعيد فتح الطرق المغلقة."



دخلت الممرضة فضيلة الغرفة وهي تحمل بعض الأوراق والمعدات الطبية، وكانت دائماً تحب تبسيط العلوم لليافعين. قالت لسلمان: "قبل أن نبدأ، هل تعلم يا بطل أن دماءنا ليست متشابهة تماماً؟ نحن نصنف الدم إلى فصائل رئيسية هي A وB وAB و O."

بدأ سلمان يشعر بالفضول ونسي ألمه قليلاً، فسألها: "وكيف تميزون بين هذه الفصائل في المختبر؟"


Edocetioal Cöhart

تابعت الممرضة فضيلة شرحها وهي تجهز جهاز الفحص: "الأمر يتعلق ببروتينات مجهرية تسمى 'مولدات الضد' توجد على سطح خلايا الدم. إذا كانت فصيلتك A، فلديك مولدات ضد A.أما الفصيلة O، فهي مميزة جداً لأنها لا تملك أي مولدات ضد على سطحها، ولذلك نطلق على أصحاب فصيلة O- لقب 'المعطين العامين'، لأن دمهم لا يثير أي هجوم دفاعي من جهاز المناعة لدى الآخرين."



ابتسم سلمان وقال: "إذاً فصيلة Oهي الأكثر سخاءً!" ضحكت فضيلة وأكملت: "بالتأكيد! وفي المقابل، هناك فصيلة +ABالتي نلقبها بـ 'المستقبل العام'، لأن أصحابها يمكنهم استقبال الدم من أي فصيلة أخرى دون أن يرفضه جسمهم. إنه نظام مذهل من التوافق يضمن سلامة المتبرع والمستقبل." شعر سلمان بالانبهار من هذا التصميم الدقيق داخل أجسادنا.



في هذه الأثناء، كان علي، صديق سلمان الوفي، قد وصل إلى بنك الدم في المستشفى. كان قلبه يخفق قليلاً لكنه كان يشعر بالفخر. التقى بالممرضة فضيلة التي رحبت به في قسم التبرع. قال علي بثقة: "أنا هنا لأتبرع بدمي لصديقي سلمان، نحن نتشارك نفس الفصيلة وقد أجريت الفحوصات الأولية في زيارتي السابقة."



اصطحبت فضيلة علياً إلى غرفة التبرع وشرحت له إجراءات الأمان الصارمة: "شكراً لك يا علي. نحن الآن نجري عملية 'التوافق المباشر' لضمان تطابق دمك تماماً مع دم سلمان. كما نقوم بفحص وبائي دقيق للتأكد من خلو الدم من أي فيروسات أو شوائب." كان علي يصغي باهتمام، مدركاً أن العلم هو الحارس الأمين لكل قطرة دم تنتقل بين البشر.



بدأت عملية التبرع الفعلية. استلقى علي بشكل مريح، ومد ذراعه على المسند المخصص. قامت الممرضة بوضع كيس جمع الدم في مستوى منخفض تحت مستوى ذراع علي، حيث وضعته فوق ميزان هزاز مخصص بجانب الكرسي، ليسمح للجاذبية بسحب الدم بسلاسة داخل الكيس. راقب علي الكيس وهو يمتلئ ببطء باللون الأحمر القاني، شاعراً بالامتنان لقدرته على مساعدة صديقه.



عاد الأكسجين ليتدفق بغزارة في عروق سلمان بفضل الدم الجديد. بمرور الوقت، بدأت الحيوية تعود لوجهه الشاحب، وتلاشى الألم المنهك. دخلت الممرضة فضيلة لتفحص لكيس الدم المعلق، وهو يقطر دم الحياة في وريد سلمان، وقالت: " خلايا دمك الحمراء تعمل الآن بنشاط مستمر؛ فهي تنقل الأكسجين إلى كل خلايا جسمك، لتساعدك على استعادة طاقتك وحيويتك. "



بعد أيام، استعاد سلمان عافيته تماماً واستعد لمغادرة المستشفى. كان علي ينتظره عند الباب بابتسامة عريضة. تعانق الصديقان بقوة، وقال سلمان بصوت ممتن: "شكراً لك يا علي، لقد منحتني أكثر من مجرد دم، لقد منحتني الأمل." رد علي وهو يحمل حقيبة صديقه: "نحن الآن أخوة في الدم والصداقة يا سلمان." غادر الصديقان المستشفى نحو الشمس، وهما يقدران قيمة الصحة وقوة العطاء.



النهاية

نبضات الصداقة

علي حسن جعفر

الطبعة الأولى - ٢٠٢٦م


رحم الله من قرأ سورة الفاتحة
وأهدى ثوابها إلى روح الفقيد
الشاب موسى حسن جعفر الأسود
وأرواح المؤمنين والمؤمنات